للتحليل . وسيلة للبرمجة الاقتصادية وللتقدم الصناعي . الماركسية الموضوعية هي محاولة الحل التي يأتي بها التقني في سبيل وتيرة اسرع للتنمية. ماركس يفصل على قياس العرب . وعلم الاجتماع الماركسي يصبح وسيلة لاذكاء حماسة الحرب التي خاضتها البرجوازية الصغيرة ضد الاقطاع والبرجوازية الليبرالية . ثم انها في الوقت نفسه تستعمل كمنهج للتحليل الادبي والثقافي . رغم تصورها فانها تأتي بسرعة لتشكل البديل الذي يستطيع وحده ان يقف في هذه الساحة بالذات . امام هذا الواقع يطرح العروي تصورا لحل : من جهة فان الاستخدام الايديولوجي للديالكتيك سيكون « كممهد لتسهيل الانتقال من الانا التقليدي الى اللانا » هذا الانتقال في فترة تحقق مشروع الدولة القومية العظيم — التصنيع — يعني ان ضرورات العمل ستستمر في التقدم على ضرورات معرفة الذات . في طرحه لمنطق النزعتين الوصفية والماركسية الموضوعية ، فان الافق المغلق لا يستطيع الديالكتيك ان يفتحه لان المرحلة السابقة — الليبرالية والتقنية — لم تتحقق تاريخيا بعد . غير ان هذا لا يعني ان الديالكتيك لا دور له ، بل قد يستطيع وضع مثل الوضع المغربي انقاذ ممهداته — الديالكتيك على الاقل .

ان محاكمة العروي لوضع الماركسية العربية الوصفية يطرح امامنا ثلاثة أسئلة : ا — ان مقولة الماركسية الموضوعية بحاجة الى توضيح . فهي ، كتيار سياسي وثقافي كما تتمثل في الدولة القومية اليوم ، تستطيع ان تكون مجرد مرحلة انتقالية الى العودة الى الدولة الليبرالية في ظل المأزق التاريخي الذي تواجهه هذه الدولة في مواجهة الامبريالية او قد تكون في المقابل مقدمة لاطلاق حركة الجماهير الواقعية من عقالها . ب — لقد قام العروي وبسرعة شديدة بالقفز على ادبيات الاحزاب الشيوعية العربية . وبرأينا فان تجربة طويلة وبالغة الغنى والتعقيد كتجربة هذه الاحزاب تستحق وقفة اكثر موضوعية . فعلى الرغم من ان خط هذه الاحزاب يندرج اليوم بنسب متفاوتة ضمن خط الدولة القومية ، فانها قد عبرت عن معاناة حقيقية لمشكلة الدخول الفكري وسط الجماهير . وحاولت بنسب متفاوتة ان تقوم بعملية تقييم لهذا الدخول . ج — ان الطابع الايديولوجي الصرف لهذا الكتاب ، يدفعنا الى التساؤل عن جدوى النتائج النظرية في حالة عدم ربطها بحركة الصراع الوطني والطبقي الذي يخوضه العرب اليوم . هنا يبرز السؤال الرئيسي : أين يقع دور الطبقة العاملة ؟ ان اجابة سريعة كاجابة العروي في مقدمة الطبعة العربية ( ص — ١٧ ) : « لا يكفي ان نردد ان الطبقة العاملة هي نقطة الارتكاز ، التي بوعيها ستصوب وعينا المغلوط ، لان الزمن الذي مر بنا بعد ماركس قد علمنا ان تلك الطبقة ، واضعة التاريخ اذا هي قامت بواجبها بعد تربيتها وتوعيتها على يد المثقفين الثوريين ، يمكن ان تتخلى عن هذا الواجب بسبب ضغط الطبقات المتحكمة او التأخر الثقافي او التخاذل الناجم عن ضائقة اقتصادية ، او باختصار بمقتضى تخلف المجتمع ذاته » .

ان هذا السؤال ليس له فقط دلالته السياسية . انه وبشكل أساسي يطرح مفهوم الوعي من خلال تبلور وتبنين الطبقات في المجتمع العربي . من هنا فان التقليل من دور الطبقة العاملة ، يضع المسؤولية على عاتق الانتلجنسيا العربية وحدها . وهذا في رأينا ، يقود التحليل من اطاره الاجتماعي الى أطر أخرى ويزيل المقياس السوسيولوجي الداخلي ، ليفرض منطق العلاقة الكولونيالية وأثرها الايديولوجي كمنطق احادي .

٤ — هذه المقدمات النظرية التي صاغها العروي تسمح له في القسم الاخير من كتابه « العرب والتعبير » ان يقوم بعملية نقد واسعة للتراث الادبي العربي المعاصر . ونقده لا يتوقف عند الظواهر ، بل يحاول عبر تحليله للظواهر الادبية ان يحاكم العقل الادبي العربي بشكل عام . عوضا ان يقوم العروي بعملية استعراض نقدية لاشكال التعبير الادبي العربي ، فانه يقوم بعملية طرح جذرية للاسئلة : ففي المسرح السؤال الرئيسي هو « هل يمكن ان يكون ثمة مسرح مأساوي بدون وعي مأساوي ؟ » والجواب تعطيه دراسة سريعة لانتاج توفيق الحكيم وربط هذا الانتاج بالواقع الذرائعي الوضعي للدولة القومية من جهة وللموقف من التراث من جهة اخرى . وفي الرواية فانه يحدد الرواية على ان « موضوعها المفضل هو الكشف عن بنية اجتماعية عبر تجربة فردية ، وعن نجاحاتها واخفاقاتها المباشرة او غير المباشرة » . من هنا ولان البرجوازية العربية هي غريبة ، حقيقتها تأتيها من الخارج ، فان العمل الروائي هو عمل برجوازي صغير . انه رواية اطرافية .